أسلوب الالتفات في القرآن الكريم
دراسة تفسيرية

د. يوسف بن عبدالعزيز الشبل

- عضو هيئة التدريس بكلية أصول الدين بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- حصل على درجة الماجستير من كلية أصول الدين بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحته (الأمر في القرآن الكريم، أساليبه ومجالاته وثمراته).
- حصل على درجة الدكتوراه من كلية أصول الدين بالرياض جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بتحقيق كتاب (غاية الأماني في تفسير الكلام الرباني للكوراني، من أول سورة النساء إلى آخر سورة الأعراف).
- له من البحوث:
  - الآيات المنسوخة عند السيوطي في كتابه الإتقان - دراسة ونقد -.

مُقَدِّمَة

الحمد الله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فإن القرآن العظيم لا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي معارفه، فمعينه لا ينضب، وعطاؤه لا ينفد، علومه تتجدد، وفيضه يتدفق،كلما تدبره المسلم وأمعن النظر فيه زاده ذلك شوقًا، وفتح عليه من العلوم الشيء العظيم.

وأهل العلم يتدبرون آياته، ويستخرجون حكمه، ويستنبطون أحكامه، ويكشفون وجوه بلاغته وصور بيانه وأساليب نظمه.

وإن من أساليب القرآن البلاغية أسلوب الالتفات، فهو أسلوب يفيد الكلام ظرافة وحسن تطرية، كما ينقله من أسلوب إلى أسلوب، فيكون أدخل في القلوب، وأخف على السمع، وأجلب للنشاط، وفي دلالته الدقة والقوة وجمال السبك،فهو أسلوب يهز النفوس ويؤثر في القلوب.

وقد كان الالتفات من المواضيع التي لقيت عناية فائقة ومزيد اهتمام من قبل علماء اللغة والبلاغة عموماً، ومن المفسرين خصوصاً في مضامين تفاسيرهم، حيث إنه أكثر الأساليب القرآنية تردداً، وأوسعها انتشاراً،بل إنك لتجد في الآية الواحدة أكثر من التفات،مما يدل على أهميته، وأن هذا القرآن قد بلغ الغاية في البراعة، والذروة في الفصاحة، فهو معجز غاية الإعجاز.

هذا ومع أن المفسرين كانت لهم عناية فائقة بهذا الفن عند تعرضهم لتفسير الآيات القرآنية، وما حوته من أوجه بلاغية، إلا أنها لم تكن غاية المفسرين

التصنيف في هذا الفن، والوصول إلى حقيقة الالتفات وجمع طرقه ودراستها، فعمدت بعد استخارة، ثم استشارة إلى الشروع في دراسة هذا الموضوع، وجمع شتاته، وإبراز الشواهد القرآنية، وبيان موقف المفسرين من هذا الفن البلاغي، وأن أسهم في خدمة كتاب الله **عز وجل**، وأبرز شيئاً من جوانب هذا الموضوع تجلية لأسراره وهداياته، فاستعنت بالله فنظمت خطته في **مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة**.

أما المقدمة: ففيها أهمية البحث وسبب الكتابة فيه، وخطته، والمنهج المتبع.

وأما الفصل الأول فهو في مفهوم الالتفات وفوائده، وفيه مبحثان:

المبحث الأول:مفهوم الالتفات.

المبحث الثاني: فوائد الالتفات.

وأما الفصل الثاني فهو في الالتفات بين التكلم والغيبة، وفيه مبحثان:

المبحث الأول : الالتفات من أسلوب التكلم إلى أسلوب الغيبة.

المبحث الثاني:الالتفات من أسلوب الغيبة إلى أسلوب التكلم.

وأما الفصل الثالث فهو في الالتفات بين الغيبة والخطاب، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الالتفات من أسلوب الغيبة إلى أسلوب الخطاب.

المبحث الثاني: الالتفات من أسلوب الخطاب إلى أسلوب الغيبة.

ثم بعد ذلك **الخاتمة**، وفيها أهم نتائج البحث.

هذا وقد كان منهجي في دراسة هذا الموضوع على النحو التالي :

أولاً: أورد في الفصلين الثاني والثالث في كل مبحث معنى الالتفات بين الضميرين.

ثم أسوق الأمثلة عليه من الآيات القرآنية مبيناً في كل مثال معنى الآية، وموضحاً .

وجه الدلالة من الآية،مؤيداً ذلك بكلام المفسرين مع إبراز شيء من أسرار الالتفات البلاغية ولطائفه الدقيقة،مقتصراً في الغالب على ثلاثة أمثلة من الآيات القرآنية في كل مبحث خشية الإطالة.

كما أنني قد اقتصرت في هذه الدراسة على أربع طرق من طرق الالتفات، ومعلوم أنها ستٌ من الناحية العقلية بالنظر إلى الضمائر الثلاثة التكلم والخطاب والغيبة،وذلك نظراً لأن الالتفات بين الخطاب، والتكلم بصورتيه لم يرد في القرآن الكريم على الصحيح كما ذكره المحققون من أهل العلم. (١)، وسيأتي مزيد بيان لذلك إن شاء الله .

ثانياً: هذه الدراسة محاولة إلى الوصول إلى حقيقة الالتفات وجمع طرقه ودراستها وإبراز الشواهد القرآنية وبيان موقف المفسرين من هذا الفن البلاغي، إسهاماً في خدمة كتاب الله **عز وجل**، وإبرازاً لجوانب هذا الموضوع، تجلية لأسراره وهداياته.

ولم أقف على من درس أسلوب الالتفات في القرآن الكريم بالصورة المذكورة — فيما أعلم — إلا ما جاء في كتاب أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية للدكتور حسن طبل، وقد اختلفت هذه الدراسة عنه من أوجه:

١ ـ أن دراسته كانت أوسع بناء على المفهوم العام للالتفات، وهو العدول من أسلوب إلى أسلوب آخر، وهو تعريف أوسع من حيث إنه يشمل الالتفات في الضمائر، و في صيغ الأفعال من الماضي إلى المضارع والعكس، و في العدد من الإفراد إلى التثنية أو إلى الجمع والعكس، أما هذه الدراسة فكانت مقتصرة على المفهوم الخاص، وهو الالتفات بين الضمائر.

٢ـ أنه في تعرضه للالتفات بين الضمائر كان مختصراً، والأمثلة فيه قليلة، بخلاف هذه الدراسة التي جاءت مبرزة الشواهد القرآنية، ومبينة موقف المفسرين من الالتفات.

ثالثاً:عزوت الآيات إلى سورها بذكر اسم السورة ورقم الآية.

رابعاً:خرَّجتُ الأحاديثَ والآثارَ من مصادرها مع الحكم عليها.

---

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي (٣/ ٣١٥)، الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٢/ ٢٣٥).

خامساً: عرفتُ بالأعلام غير المشهورين تعريفاً موجزاً.

سادساً:وثقت أقوال أهل العلم من مصادرها.

سابعاً: وضعت في آخر البحث فهرساً للمصادر والمراجع .

آمل أن أكون قد وفقت في الإسهام في خدمة كتاب الله،وفي إبراز شيء من هداياته، وأن أكون جمعت فيه ما تفرق وقربت منه ما بعد،

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الفصل الأول
مفهوم الالتفات وفوائده

المبحث الأول: مفهوم الالتفات

الالتفات لغة: مصدر التفت يلتفت،والتفت إلى الشيء صرف وجهه إليه، وأصل الالتفات اللَّي وصرف الشيء عن جهته المستقيمة، والتَّلَفُّتُ: لي العنق يمنة ويسرة [(١)].

فمادة (لَفَتَ) تدور في معناها اللغوي حول معنى واحد، وهو التحول والانصراف

والتنقل، فهو مأخوذ من التفات الإنسان عن يمينه وشماله،فهو يقبل بوجهه تارةً كذا وتارةً كذا[(٢)].

وجاء في التنزيل الحكيم: ﴿**أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا**﴾ (يونس: ٧٨). أي:لتصرفنا وتلوينا عما وجدنا عليه آباءنا[(٣)]، وجاء أيضاً: ﴿**وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ**﴾(الحجر: ٦٥) أي: لا ينصرف منكم أحد ولا يتخلف .[(٤)]

وجاء في السُّنة أن الالتفات صرف الوجه يمنة ويسرة، فعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها سألت النبي ﷺ عن الالتفات في الصلاة فقال: « **هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد** »[(٥)].

---

(١) انظر:تهذيب اللغة للأزهري (١٤/ ٢٥٨)،معجم مقاييس اللغة لابن فارس(٥/ ٢٥٨) المفردات للراغب الأصفهاني ص(٤٧٢) لسان العرب لابن منظور(٢/ ٨٤)

(٢) انظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير (٢/ ١٨١).

(٣) انظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (١١/ ١٠١).

(٤) انظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي (١/ ٥٣٣).

(٥) رواه البخاري في صحيحه (١/ ٢٠٥) برقم (٧١٥).

فتبين مما سبق أن الالتفات بتراكيبه اللغوية واستعمالاته المختلفة لا يكاد يخرج عن معنى الصرف، واللي عن الجهة المستقيمة، وأن أكثر استعمالاته في الأشياء المحسوسة، وأنه مرتبط بحركة الإنسان العضوية، وعدوله يمنة ويسرة.

الالتفات اصطلاحًا:

بالنظر في التعريف اللغوي للالتفات، وأنه مرتبط بحركة الإنسان العضوية وعدوله في اتجاهاته يمينًا وشمالاً،إلى هذا المعنى اللغوي يتضح المعنى الاصطلاحي للالتفات بأنه أيضاً مرتبط بالتنقل في الكلام من صيغة إلى صيغة وبالتحول من أسلوب إلى أسلوب آخر.

وقبل تعريف الالتفات اصطلاحاً وبيانه أود أن أشير إلى أن هذا المصطلح كان مستعملاً عند العرب وفي صدر الإسلام، فقد روى محمد بن يحيى الصولي عن الأصمعي أنه قال له:أتعرف التفاتات جرير؟ قال:ما هي؟ فأنشده:

أتنسى إذ تودعنا سُليمى   بعودِ بشامةٍ سُقيَ البشامُ

ثم قال: أما تراه مقبلاً على شعره إذ التفت إلى البشام فدعا له[(١)].

وهذه الرواية تدل على أن مصطلح الالتفات كان معروفاً منذ القرن الثاني الهجري، بل إن كثيراً من علماء اللغة وغريب القرآن ممن هم في عصر الأصمعي وقبله قد تعرضوا للالتفات، سواء أطلقوا عليه مصطلح الالتفات أو غيره أمثال أبي عبيدة والفراء والأخفش وغيرهم[(٢)].

---

(١) كتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري (١/ ١١٩)، والأصمعي: عبد الملك بن قريب الباهلي، راوية العرب وأحد أئمة اللغة والشعر، توفي سنة (٢١٣هـ)، انظر: تاريخ بغداد للبغدادي(١٠/ ٤١٠)، بغية الوعاة للسيوطي (٢/ ١١٢) .

(٢) أبو عبيدة:معمر بن المثنى عالم بالشعر والغريب والأخبار والأنساب توفي سنة(٢١٠هـ)، انظر: تاريخ بغداد(١٣/ ٢٥٢)، طبقات المفسرين للداودي (٢/ ٣٦٢)،والفراء: يحيى بن زياد الديلمي إمام أهل العربية ومن أعلم أهل الكوفة بالنحو مات سنة(٢٠٧هـ)،انظر:تاريخ بغداد (١٤/ ١٤٩)،بغية الوعاة (٢/ ٣٣٣) والأخفش: هوالأوسط سعيد بن مسعدة البلخي إمام النحو والعربية مات سنة(٢١٥هـ)، انظر:سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٠٦)، بغية الوعاة (١/ ٥٩٠).

فمثلاً أبو عبيدة في كتابه مجاز القرآن أورد أمثلة متعددة، منها على سبيل المثال قوله: «ومن مجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الشاهد، ثم تركت وحولت مخاطبته هذه إلى مخاطبة الغائب، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾، أي: بكم»(١).

وأورد الفراء في معانيه أمثلة عديدة، منها ما جاء عند قوله تعالى: ﴿قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِ﴾ (آل عمران: ١٣) ، قال:« ومن قرأ: (ترونهم) ذهب إلى اليهود لأنه خاطبهم، ومن قال (يرونهم)، فعلى ذلك، كما قال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾، إن شئت جعلت (يرونهم) للمسلمين دون اليهود »(٢).

واستعمله من المتقدمين الأخفش في معانيه، ومما جاء في كتابه أنه قال:«وأما قوله: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾، ثم قال: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ ثم قال: ﴿ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ﴾ ، فلأنه خاطبهم من بعد ما حدث عنهم، وذا في الكلام والشعر كثير،»، إلى أن قال:« وفي كتاب الله عز وجل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم﴾ فأخبر بلفظ الغائب، وقد كان في المخاطبة لأن ذلك يدل على المعنى» (٣).

وهذا كله يدل دلالة واضحة على أن الالتفات كان معروفاً في وقت مبكرٍ، وإن لم يطلق عليه هذا اللفظ، لذا تعددت مصطلحاته، فقد يعبر عنه أحياناً بلفظ الصرف، أو التحويل، أو المجاز، أو مخالفة مقتضى الظاهر، أو شجاعة العربية كما ذكره ابن الأثير، وعلل ذلك بقوله: « وإنما سمي بذلك لأن الشجاعة هي

(١) مجاز القرآن (١/ ١١) والآية(٢٢).من سورة يونس.

(٢) معاني القرآن (١/ ١٩٥).

(٣) معاني القرآن (١/ ٣٢١).

الإقدام، وذاك أن الرجل الشجاع يركب مالا يستطيعه غيره، ويتورد مالا يتورده سواه، وكذلك الالتفات في الكلام »[١] .

وبناء على الاختلاف في تسميته تعددت أقوال علماء العربية والبلاغة في حده وضبطه، وأشهرها قولان:

القول الأول: أن الالتفات تحويل الضمير من سياق أصلي كالغيبة مثلاً إلى سياق مغاير كالتكلم أو الخطاب،وهذا التعريف هو تعريف جمهور أهل اللغة والبلاغة، أمثال الزمخشري والسكاكي والخطيب القزويني والزركشي والسيوطي[٢] .

فالالتفات عندهم هو التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة: التكلم والخطاب والغيبة بعد التعبير عنه بطريق آخر منها[٣] .

---

(١) المثل السائر(٢/ ١٨١) وابن الأثير: هو ضياء الدين محمد بن نصر الله، ولد بالموصل وصنف كتباً عديدة، توفي سنة (٦٢٢هـ)، انظر:وفيات الأعيان لابن خلكان (٢/ ١٦١)، سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٧٢).

(٢) انظر: الكشاف (١/ ١٣)، مفتاح العلوم (٢/ ٢٣٥)، الإيضاح في علوم البلاغة(١/ ١٥٧)، البرهان في علوم القرآن (٣/ ٣١٤)، الإتقان في علوم القرآن (٢/ ٢٣٥) والزمخشري: محمود بن عمر الخوارزمي، برع في اللغة والنحو والبيان، وأخذ بمذهب الاعتزال ودافع عنه بقوة، توفي سنة(٥٣٨هـ)، انظر: البداية والنهاية لابن كثير(١٢/ ٢٣٥)،طبقات المفسرين للسيوطي ص١٠٤ والسكاكي: يوسف بن أبي بكر الخوارزمي، عالم بالعربية والأدب، توفي سنة(٦٢٦هـ)انظر: معجم الأدباء (٢٠/ ٥٨)،الأعلام للزركلي (٩/ ٢٩٤)، والخطيب القزويني: أبو المعالي محمد بن القاضي سعد الدين، اشتغل بالفنون وأتقن الأصول، توفي سنة (٧٣٩هـ)، انظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة لابن حجر (٤/ ١٢٠)، البدر الطالع للشوكاني (٢/ ١٨٣)، والزركشي: محمد بن بهادر، من فقهاء الشافعية وعلماء الأصول، توفي سنة (٧٩٤هـ)، انظر: الدرر الكامنة(٤/ ١٧)، طبقات الداودي (٢/ ١٦٢)، والسيوطي: عبدالرحمن بن أبي بكر مؤرخ محدث مفسر، اشتغل بالتدريس والتصنيف فكثرت مصنفاته، توفي سنة(٩١١هـ)، انظر: حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة للسيوطي (١/ ٣٣٥) البدر الطالع: (١/ ٣٢٨) .

(٣) انظر: الإيضاح في علوم البلاغة (١/ ١٥٧).

القول الثاني: أن الالتفات هو العدول من أسلوب إلى أسلوب آخر مخالف للأول. وهذا التعريف أوسع من التعريف الأول حيث إنه يشمل الالتفات في الضمائر وغيرها، وهذا التعريف لطائفة من العلماء أمثال ضياء الدين بن الأثير، فقد قسم الالتفات إلى ثلاثة أقسام: الأول في الضمائر، والثاني في صيغ الأفعال من الماضي إلى المضارع والعكس، والثالث في العدد من الإفراد إلى التثنية أو إلى الجمع والعكس [(١)].

وقد مال إلى هذا التعريف العلوي في كتابه الطراز وعلله بقوله:« وهذا القول أحسن من القول بأن الالتفات هو العدول من غيبة إلى خطاب والعكس،لأنه يعم سائر الالتفاتات كلها »[(٢)] .

هذان قولان للعلماء في حقيقة الالتفات وبيانه، الأول منهما لجمهور علماء اللغة والبلاغة، وهو الالتفات بين الضمائر خاصة،والثاني لبعض العلماء وهو الالتفات من أسلوب إلى أسلوب،سواءً بين الضمائر أو غيرها،ولكن الأول هو الأقرب، وعليه الأكثر، فهو تعريف للمتقدمين من علماء البلاغة والمتأخرين، وبناء عليه فإنني سأقتصر في دراستي هذه على التعريف المختار، وستكون الدراسة في الالتفات بين الضمائر الثلاثة:(التكلم والخطاب والغيبة)، والله الموفق.

---

(١) انظر: المثل السائر(٢/ ١٨١-١٩٤).

(٢) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ص(٢٦٥) والعلوي: يحيى بن حمزة الحسيني، من علماء الزيدية في اليمن، توفي سنة (٧٤٥هـ)، انظر: الأعلام (٨/ ١٤٣).

المبحث الثاني
فوائد الالتفات

لا ريب أن الالتفات له فوائد قيمة وأسرار بلاغية، فهو يكسب الكلام رونقًا وجمالاً، ويكسوه بهجة وإشراقًا، كما أن فيه تطرية [1] للكلام، وصيانة للسمع من الضجر والملل، لأن النفوس جبلت على حب التنقلات والسآمة من الاستمرار على منوالٍ واحد[2].

يقول الزمخشري: « إن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد، وقد تختص مواقعه بفوائد». [3].

فهو إذن يجعل السامع ينصت إلى الكلام بشغف،ويقبل عليه بلهف، فهذا بعض من فوائد الالتفات،وطائفة من أسراره البلاغية بوجه عام، وأما الالتفات في القرآن الكريم فله فوائد جمة وأسرار بلاغية كثيرة، وأهداف بيانية موفورة، ولطائف متنوعة، تختلف من آية إلى آية، ومن غرض إلى غرض، ومن موضع إلى موضع بحسب المعنى والمقام، أوضحها القرآن الكريم، وأجلاها علماء التفسير .

فأسرار الالتفات في القرآن الكريم وفوائده تميزت عن غيرها، تميزت بأسلوبها الرصين، وبدقتها وقوتها، وجمال سبكها، فلها تأثيرها العميق في النفوس، وفيها الدلالة الواضحة على إعجاز القرآن،وهذا ما سيأتي الكشف عنه في ضوء الآيات القرآنية، ولكن الأذهان تتفاوت في إدراكها والوصول إلى أغراضها، فقد تقترب منها، وقد تصل إلى بعضها، وكل ذلك مقرون بتوفيق الله عز وجل، ثم بالجهد المبذول في هذا السبيل.

(١) أي: تجديدًا.
(٢) انظر: الإتقان في علوم القرآن (٢/ ٢٣٥).
(٣) انظر: الكشاف (١/ ١٤).

وإن الناظر والمتأمل في كتاب الله العظيم وفي آياته، ليجد أن الالتفات من أكثر الظواهر البلاغية التي حواها هذا الكتاب العزيز تردداً،وأوسعها انتشاراً، وأنه قد تعددت طرقه، واختلفت ألوانه، وتنوعت استعمالاته، وإليك بيان طرق الالتفات في ضوء الآيات القرآنية، والله المستعان وعليه التكلان.

الفصل الثاني
الالتفات بين التكلم والغيبة

المبحث الأول:
الالتفات من أسلوب التكلم إلى أسلوب الغيبة

ومعناه:أن يكون سياق الكلام على ضمير التكلم ثم ينتقل إلى ضمير الغيبة، وهذا النوع من الالتفات هو الأكثر انتشاراً في القرآن الكريم[١].

فمن تدبر القرآن الكريم وتأمل في آياته وجد الكثير من آياته تشير إلى هذا النوع وأن كتاب الله قد حفل بذكره،وأن المفسرين كانت لهم العناية الكبيرة في إبرازه وتجليته،وما حواه من أسرار بلاغية، وإليك بعضاً من هذه الأمثلة.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (النحل: ١٠١).

المقصود بالتبديل في الآية هو النسخ، وهو أن ترفع آية ويحل محلها آية أخرى.

وهذا بلا شك مبني على حكم ومصالح يعلمها الله عز وجل،فقد يشرع الشيء لمصلحة مؤقتة، ثم تكون المصلحة بعد ذلك الوقت في شرع غيره.

ولكن المشركين لجهلهم بهذا يفترون على الله الكذب، ويتقولون على القرآن الكريم بأنه افتراء من النبي ﷺ، وأيضاً بأنه كذاب مُتقوَّل على الله عز وجل حيث بالغوا في نسبة الافتراء عليه بلفظ إنما، وبمواجهة الخطاب، وباسم الفاعل الدال على الثبوت.

وهذا الأمر صادر عن جهل منهم، أو مكابرة، فرد الله عليهم فِرْيَتهم بأنه أعلم بمصالح العباد بما ينزل من الأحكام،وأن أكثرهم لا يعلمون أصلاً أولا

(١) بلغت آيات هذا النوع ما يقرب من (١٣٦ آية).انظر:أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ص١٧١

يعلمون النسخ، والحكمة منه،وإسناد الحكم إلى الأكثر لأن منهم من يعلم ولكن ينكر عناداً[(١)]

ونلحظ أن الالتفات في الآية قد جاء منتقلاً من أسلوب التكلم والعظمة في قوله: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ﴾ ، إلى أسلوب الغيبة في قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ ﴾ ، أي: هو أعلم بما ينزل، وكان مقتضى السياق:ونحن أعلم بما ننزل،ولكن غير الأسلوب من التكلم إلى الغيبة، وهذا التغيير جاء لغرض وفائدة، هو إظهار الحكمة من النسخ ولأجل توبيخ الكفار، وتنبيههم على فساد رأيهم.

قال أبو السعود: « وفي الالتفات إلى الغيبة مع إسناد الخبر إلى الاسم الجليل المستجمع للصفات ما لا يخفى من تربية المهابة وتحقيق معنى الاعتراض». [(٢)]

وقال الآلوسي:« وفي الالتفات إلى الغيبة مع الإسناد إلى الاسم الجليل ما لا يخفى من تربية المهابة وتحقيق معنى الاعتراض ».[(٣)]

ومما ورد في كتاب الله من الأمثلة لهذا النوع قول الله عز وجل: ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴾ (طه: ١ – ٤).

فقد افتتحت السورة بملاطفة النبي ﷺ بأن الله لم يرد من إرساله وإنزال القرآن عليه أن يشقى بذلك بأن تصيبه مشقة، وإنما أراد بذلك تذكير المؤمنين أهل الخشية بالقرآن،وفي الافتتاح بهذا الأسلوب تمهيد لما سيأتي من أمر الرسول ﷺ بتبليغه الرسالة.

---

(١) انظر: إرشاد العقل السليم(٣/ ٤٠١)، روح المعاني(١٤/ ٢٣١)،تيسير الكريم الرحمن (٤/ ٢٤١).

(٢) إرشاد العقل السليم(٣/ ٤٠١)،وأبو السعود:محمد بن محمد بن مصطفى العمادي من فقهاء الحنفية، تقلد قضاء القسطنطينية، توفي سنة(٩٨٢هـ)، انظر:البدر الطالع للشوكاني(١/ ٢٦١)، هدية العارفين للبغدادي(٢/ ٢٣٥)

(٣) روح المعاني (١٤/ ٢٣١)، الآلوسي:محمود بن عبدالله الحسيني،من علماء العراق، مفسر محدث فقيه، توفي سنة(١٢٧٠هـ)، انظر: معجم المفسرين (٢/ ٦٦٥)، الأعلام (٧/ ١٧٦).

وفيه إشارة إلى أن المقصود بالوحي، وإنزال القرآن الكريم، وتشريع الشرائع أنه طريق موصلة إلى السعادة، والفلاح، والتذكرة، وراحة البدن في الدارين، لا لأجل الشقاوة، وإنهاك النفس،ثم عظَّم عز وجل كتابه المنزَّل بتعظيم شأن المنزِّل وهو الله،لأن تعظيمه يظهر بتعظيم خلقه ونعمه، وإنما عظم القرآن ترغيباً في تدبره والعمل به.[١]

وقد جاء الالتفات في الآيات من أسلوب التكلم إلى أسلوب الغيبة حيث أسند الإنزال إلى ضمير التكلم فقال: ﴿ مَآ أَنزَلْنَا ﴾ ثم انتقل إلى ضمير الغائب فقال: ﴿ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴾.

وقد لفت الزمخشري الانتباه إلى نكتة الالتفات في هذه الآيات فقال: « فإن قلت: ما فائدة النقلة من لفظ المتكلم إلى لفظ الغائب؟ قلت: غير واحدة منها عادة الافتنان في الكلام، وما يعطيه من الحسن والروعة، ومنها أن هذه الصفات إنما تسردت مع لفظ الغيبة، ومنها أنه قال أولاً: ﴿أَنزَلْنَا﴾ ففخم الإسناد إلى ضمير الواحد المطاع، ثم ثنى بالنسبة إلى المختص بصفات العظمة والتمجيد، فضوعفت الفخامة من طريقين » اهـ.[٢]

ويضيف البقاعي فائدة من فوائد الالتفات في الآية فيقول:« وإنما التفت من التكلم إلى الغيبة؛ ليدل على ما اقتضته النون من العظمة مقدماً ما اقتضى الحال تقديمه من سكن المدعوِّين المعتنى بتذكرهم وهداية أريد منهم » اهـ.[٣]

---

(١) انظر:الكشاف(٣/ ٥١)، روح المعاني (١٦/ ١٤٩)، التحرير والتنوير (١٦/ ١٨٤)،تيسير الكريم الرحمن (٥/ ١٤٢).

(٢) الكشاف (٣/ ٥١).

(٣) نظم الدرر (١٢/ ٢٦٧)، والبقاعي: إبرهيم بن عمر بن حسن،مؤرخ مفسر محدث، ولد ونشأ بالبقاع، سكن بدمشق ومات بها سنة(٨٨٥هـ)،انظر: البدر الطالع للشوكاني (١/ ١٩)، التاج المكلل لصديق خان ص٣٥٨.

وقال أبو السعود: « ونسبة التنزيل إلى الموصول بطريق الالتفات إلى الغيبة بعد نسبته إلى نون العظمة لبيان فخامته تعالى بحسب الصفات والأفعال» اهـ.(١)

ومن الآيات الواردة من هذا النوع من الالتفات ما جاء في سورة الكوثر، قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ (الكوثر: ١ – ٣).

وفي هذه السورة الجليلة منح الله عز وجل نبيه محمدًا ﷺ مناقب كثيرة، وخيرًا كثيرًا وعطاء وفيرًا،منها الوعد بالعطاء الذي من جملته ما يعطيه الله عز وجل لنبيه ﷺ يوم القيامة من النهر الذي يقال له الكوثر،والوعيد لكل من أبغضه وانتقصه بالقطع من كل خير،ومن كل ذكر، ثم توجيهه ﷺ إلى طريق الشكر بالمحافظة على عبادتين جليلتين هما الصلاة التي جمعت أنواع الشكر،والنحر الذي هو تقرب إلى الله بأفضل ما عند العبد من النحائر.

وفي حذف موصوف الكوثر،وإسناد الإعطاء إليه،والتعبير بالماضي وتأكيد الجملة بإنَّ مالا يخفى من المبالغة والاعتناء بشأن الخبر .(٢)

وقد جاء الالتفات في السورة من أسلوب التكلم في قوله: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ ، إلى أسلوب الغيبة في قوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ ، وكان مقتضى السياق: فصلِّ لنا، وإنما غير في الأسلوب وعدل إلى ضمير الغيبة وذلك لسر بلاغي، وهو الحث على أداء الصلاة لحق الربوبية، لأن لفظ الرب يفيد الحث على الطاعة، كما فيه الإشارة إلى إخلاص العمل لله.(٣)

(١) إرشاد العقل السليم (٣/ ٦١٣).
(٢) انظر: التفسير الكبير (٣١/ ١٢٨)، إرشاد العقل السليم (٥/ ٥٨١)،روح المعاني (٣٠/ ٢٤٥)، تيسير الكريم الرحمن (٧/ ٦٨٠).
(٣) انظر: التفسير الكبير (٣٢/ ١٣١).

قال الآلوسي: «وفي الالتفات عن ضمير العظمة إلى خصوص الرب مضافاً إلى ضميره ﷺ تأكيد لترغيبه ﷺ في أداء ما أمر به على الوجه الأكمل»اهـ.[١]

وقال الطاهر ابن عاشور: « والعدول عن الضمير إلى الاسم الظاهر في قوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾ ، دون "فصل لنا" لما في لفظ الرب من الإيماء إلى استحقاقه العبادة؛ لأجل ربوبيته فضلاً عن فرط إنعامه » اهـ.[٢]

فهذه أمثلة توضح لك أهمية هذا النوع في كتاب الله، وهو الالتفات من ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة، وأنه الأكثر شيوعاً، والأوسع انتشاراً، وأن الملاحظ في هذه الآيات وغيرها أن ضمير التكلم في الغالب أنه ضمير عظمة وأنه عائد على الخالق ﷻ كقوله: ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَآ ﴾ ، ﴿ مَآ أَنزَلْنَا ﴾ ، ﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ﴾ وهكذا،،،

وهكذا تبين لنا أن المفسرين كانت لهم عناية فائقة، واهتمام كبير في إبراز هذا النوع، والوقوف على أسراره البلاغية، وأهدافه البيانية التي لا تنفد ولا يمكن لأحد حصرها، وهو سر من أسرار الإعجاز القرآني.

---

(١) روح المعاني (٣٠/ ٢٤٧).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/ ٥٧٤)،والطاهر ابن عاشور من علماء تونس ولد ونشأ بها،ودرَّس في جامع الزيتونة، له أبحاث ودراسات كثيرة، توفي سنة (١٣٩٣هـ)،انظر: الأعلام (٦/ ١٧٤)، معجم المفسرين (٢/ ٥٤١).

المبحث الثاني:
الالتفات من أسلوب الغيبة إلى أسلوب التكلم

ومعناه: أن يكون سياق الكلام على ضمير الغيبة ثم يتحول إلى ضمير التكلم، وهذا النوع أكثر القرآن الكريم من استعماله، واعتنى المفسرون بإبرازه مما يدل على أهميته.(١)

ومن أمثلته ما جاء في قول الله عز وجل: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا ﴾. (الأنعام: ٩٩).

فهذه الآية يذكر فيها عز وجل ما هو من عجائب مخلوقاته الدالة على كمال قدرته، وعظائم مننه، ونعمه المنبئة عن سعة رحمته ﷻ، والتي يضطر إليها الخلق من بني آدم وغيرهم، وهو إنزال الغيث من السماء، وإخراج النبات المختلف الأصناف والألوان والطعوم والأشكال، ثم شرع ﷻ في تفصيل ما أجمل من الإخراج، وهو أصل النبات الخارج من الحبة، يخرج غضاً رطباً، فيخرج به الحبوب المتراكبة، وغيرها من النباتات.

وصيغة المضارع ﴿نُّخْرِجُ﴾ لاستحضار الصورة لما فيها من الغرابة.(٢)

وقد جاء الالتفات في الآية من ضمير الغيبة في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ ﴾، إلى ضمير التكلم في قوله تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ ، وقوله: ﴿نُّخْرِجُ﴾ ، ولا شك أن لهذا الالتفات، وهذا الانتقال من أسلوب إلى أسلوب غرضاً بلاغياً، وهو إظهار قدرة الله عز وجل المشعرة بعظمته، وأنها لا يمكن أن تتأتى هذه الأشياء من

---

(١) بلغت آيات هذا النوع ما يقرب من (٩٧آية). انظر: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ص١٧١.

(٢) انظر: التفسير الكبير (١٣/ ١٠٧)، إرشاد العقل السليم (٢/ ٢٥٦)، تيسير الكريم الرحمن (٢/ ٤٤٢).

غيره، ولإظهار كمال العناية بشأن ما أنزل لأجله، وهو إخراج النبات المختلف الأشكال والأصناف.

قال البقاعي: « ولما كان تفريع الخلق من الماء بمكان العظمة لا يوصل إليه نبه عليه بالانتقال إلى ضمير التكلم في مظهر العظمة فقال : ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾ ، أي: على مالنا من العظمة التي لا يدانيها أحد » اهـ.(١)

وقال أبو السعود:« قوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾، التفات إلى التكلم إظهاراً لكمال العناية بشأن ما أنزل الماءُ لأجله،أي:فأخرجنا بعظمتنا » اهـ(٢)

ويضيف الآلوسي نكتة أخرى فيقول:« إنه سبحانه لما ذكر فيما مضى ما ينبهك على أنه الخالق اقتضى ذلك التوجه إليه حتى يخاطب، واختيار ضمير العظمة دون ضمير المتكلم وحده؛ لإظهار كمال العناية » اهـ.(٣)

ويشير محمد رشيد رضا إلى نكتة أخرى في هذا الالتفات فيقول:« فحكمة الالتفات أن تلتفت الأذهان إلى ما يعقب ذلك من البيان فتتنبه إلى أن هذا الإخراج، والصنع السنيع من فعل الحكيم الخلاق، لا من فلتات المصادفة والاتفاق ». اهـ(٤)

ومن الآيات الواردة من هذا النوع في كتاب الله عز وجل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (الأعراف: ٥٧).

---

(١) نظم الدرر (٧/ ٢٠٨).

(٢) إرشاد العقل السليم (٢ / ٢٥٥).

(٣) روح المعاني (٧/ ٢٣٨).

(٤) تفسير المنار (٧ / ٦٤٤) ومحمد رشيد رضا من دعاة الإصلاح في العالم الإسلامي،ولد ونشأ بالشام، ثم رحل إلى مصر فلازم الشيخ محمد عبده، أنشأ مجلة المنار، توفي سنة ١٣٥٤هـ. انظر: الأعلام (٦/ ١٢٦)،معجم المفسرين عادل نويهض (٢/ ٥٢٩).

وهذه الآية كسابقتها تتحدث عن آية من آيات الله ﷻ الكونية،ومن عجائب مخلوقاته الدالة على كمال قدرته على تصريف الأحوال بين السماء والأرض.

وإذا تأملت هذه الآية وكيف جاء التعبير عن إرسال الرياح مبشرات، وهي تتقدم نزول الغيث بصيغة الغيبة: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦ﴾فيتكون بأمر الله عز وجل سحاباً ركاماً،ثم يأتي سوقه إلى حيث يشاء وإنزال الماء، وإخراج الثمرات المختلفة الأصناف والألوان والطعوم، والأشكال بصيغة التكلم: ﴿فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ علمت أن هناك أموراً مشاهدة محسوسة تحتاج إلى تفكر وتأمل تتجلى فيه قدرة الله عز وجل المشعرة بعظمته وأنها لا يمكن أن تتأتى من غيره. (١)

فالالتفات في الآية من ضمير الغيبة في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى﴾، إلى ضمير التكلم في قوله تعالى: ﴿سُقۡنَـٰهُ﴾، ﴿فَأَنزَلۡنَا﴾ ، ﴿فَأَخۡرَجۡنَا﴾ ، ﴿نُخۡرِجُ﴾ ، وهذا التغيير من أسلوب إلى أسلوب لا شك أن له غرضاً بلاغياً، وهو إظهار قدرة الله عز وجل المشعرة بعظمته، وأنها لا يمكن أن تتأتى من غيره، ولإظهار كمال العناية بشأن ما أنزل لأجله، وهو إخراج النبات المختلف الأشكال والأصناف،

ونلحظ في هذا النوع من الالتفات، وهو الالتفات من ضمير الغيبة إلى ضمير التكلم أنه كثر وتردد في كتاب الله عز وجل،وعند النظر في الآيات القرآنية الواردة في هذا النوع والتأمل فيها نجد أنها ترد غالباً فيما يتعلق بالآيات الكونية الدالة على قدرته عز وجل على تصريف الأحوال بين السماء والأرض،بإرساله الرياح وتكوين السحاب، وإنزال المطر ثم ما يتبع ذلك من

---

(١) انظر:فتح القدير(٢/ ٢١٤)، تيسير الكريم الرحمن (٣/ ٤١)، التحرير التنوير(٨/ ١٨٢).

اخضرار الأرض، وإخراج الثمرات المختلفة الأصناف، والألوان، والأشكال والطعوم. وإليك بعضاً من الأمثلة على ذلك :

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ (طه: ٥٣).

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا﴾ (الفرقان: ٤٨).

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾ (النمل: ٦٠).

وقال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾ (لقمان: ١٠).

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ (فاطر: ٩).

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾ (فاطر: ٢٧).

فتأمل هذه الآيات وكيف جاء فيها الالتفات من ضمير الغيبة إلى ضمير التكلم، فالآية الأولى ابتدأت بضمير الغيبة: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ ، ثم انتقلت إلى ضمير التكلم: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾، والآية الثانية ابتدأت بضمير الغيبة: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ﴾ ثم انتقلت إلى ضمير التكلم: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ ، والآية الثالثة ابتدأت بضمير الغيبة: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ ، ثم انتقلت إلى ضمير التكلم: ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾، والآية الرابعة ابتدأت بضمير الغيبة: ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ ، ثم انتقلت إلى ضمير التكلم: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا﴾، والآية الخامسة ابتدأت بضمير الغيبة: ﴿ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ﴾، ثم انتقلت إلى ضمير التكلم: ﴿فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا﴾ والآية السادسة ابتدأت بضمير

الغيبة: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾، ثم انتقلت إلى ضمير التكلم: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ﴾، وهذا العدول عن لفظ الغيبة إلى التكلم لاشك أنه جاء لنكتة بلاغية هي إظهار قدرة الله عز وجل المشعرة بعظمته وأنها لا يمكن أن تتأتى من غيره، ولإظهار كمال العناية بشأن ما أنزل لأجله،وهو إخراج النباتات المختلفة والثمرات المتنوعة في أصنافها وألوانها وأشكالها و طعومها.

ويظهر هذا النوع من الالتفات جليًا في فواتح سورة الإسراء،قال الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ ، (الإسراء: ١).

حيث افتتحت السورة بتنزيه الله عز وجل وتقديسه عن النقائص؛ لأن له الأفعال العظيمة، والمنن الجسيمة، والتي من جملتها إسراؤه ﷻ بنبيه وحبيبه محمد ﷺ من المسجد الحرام الذي هو أجل المساجد إلى المسجد الأقصى الذي هو من المساجد الفاضلة، بارك الله فيه بكثرة الأشجار والأنهار، وبأنه محل كثير من الأنبياء،فكان في هذا الإسراء أن أرى الله ﷻ نبيه محمداً ﷺ من الآيات ما ازداد به هدى وبصيرة وثباتاً وفرقاناً، وهذا يدل على عنايته **عز وجل** ولطفه بعبده ونبيه ﷺ .

والتعبير بقوله: ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾، مضافًا إلى ضمير الغيبة العائد على الله **عز وجل** لأجل التشريف، كما أن مجيء ﴿لَيْلًا﴾ منكرًا لتقليل مدة الإسراء، وأنه قطع به تلك المسافات الشاسعة،بل في جزء من الليل، وفيه فائدة أخرى وهي الإشارة إلى أن الإسراء كان ليلاً لم يشاهده أحد.(١)

وهذه الآية قد جاء الالتفات فيها متعددًا مع قصرها وتقارب معانيها،فبدأ أولاً بأسلوب الغيبة في قوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ ، ثم انتقل إلى أسلوب

(١) انظر: الكشاف (٢/ ٦٤٦)، لباب التفسير في معاني التنزيل للخازن (٣/ ١٠٩)،تيسير الكريم الرحمن (٤/ ٢٥٨)،صفوة التفاسير للصابوني (٢/ ١٥١).

التكلم في قوله: ﴿بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾ ،وذلك للدلالة على عظمة الله ﷻ في ملكه، ولتعظيم تلك البركات، والآيات التي اختُص بها المسجد الأقصى.[١]

ثم انتقل الالتفات من ضمير التكلم في قوله تعالى: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآ﴾ ، فأراه الآيات العجيبة وأطلعه تعالى على ملكوت السموات،إلى ضمير الغيبة في قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ ، وذلك لاستشعار عظمة الله ﷻ، ولتربية المهابة في النفوس[٢].

فالتركيب في الآية منساق كأنه سبيكة واحدة، لا تتفكك فيه المعاني ولا تضطرب أثناء خروجها من معنى إلى معنى، وهذا ما ليس في طوق أرباب الفصاحة والبيان[٣].

قال أبو السعود:« والالتفاتُ إلى التكلم ﴿ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾ ، لتعظيم تلك البركات والآيات، والالتفاتُ إلى الغيبة ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ ، لتربية المهابة» اهـ[٤].

وقال الآلوسي: « وصرف الكلام من الغيبة التي في قوله: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ﴾ ، إلى صيغة المتكلم المعظم في: ﴿ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآ﴾، لتعظيم البركات، والآيات؛ لأنها كما تدل على تعظيم مدلول الضمير تدل على عظم ما أضيف إليه، وصدر عنه، كما قيل إنما يفعل العظيم العظيم،وقد ذكروا لهذا التلوين نكتة خاصة وهي أن قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ﴾ ،يدل على مسيره ﷺ خفية دون مشاهدة، وهو بالغيبة أنسب، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾ ، دل على إنزال البركات فيناسب تعظيم المنزِّل،والتعبير بضمير العظمة كفيل بذلك،وقوله: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآ﴾، يدل على قربه واتصاله فيناسب التكلم

(١) انظر: روح المعاني (١٥/ ١٣)، صفوة التفاسير (٢/ ١٥١).
(٢) انظر: إرشاد العقل السليم (٣/ ٤٢٣).
(٣) انظر: الكشاف (٢/ ٦٤٨)، البرهان في علوم القرآن (٣/ ٣٢٢)، معترك الأقران (١/ ٣٨١).
(٤) إرشاد العقل السليم (٣/ ٤٢٣).بتصرف.

معه،وقوله تعالى: ﴿لِنُرِيَهُۥ﴾ ، عود إلى التعظيم كما سبقت الإشارة إليه، وأما الغيبة في قوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ ،على تقدير كون الضمير له تعالى كما هو الأظهر وعليه الأكثر[١] فليطابق قوله تعالى: ﴿بِعَبْدِهِۦ﴾، ويرشح ذلك الاختصاص بما يوقع هذا الالتفات أحسن مواقعه، وينطبق عليه التعليل أتم انطباق إذ المعنى قربه وخصه بهذه الكرامة؛ لأنه سبحانه مطلع على أحواله عالم باستحقاقه لهذا المقام » اهـ[٢]

وقال ابن عاشور: :« وفي تغيير الأسلوب من الغيبة التي في اسم الموصول وضميريه إلى التكلم في قوله: ﴿ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ﴾، سلوك لطريقة الالتفات المتبعة كثيراً في كلام البلغاء » اهـ[٣]

وهذا النوع من الالتفات قد كثر وروده وانتشاره في كتاب الله عز وجل وعند تتبع الآيات القرآنية الواردة في هذا النوع يتبين أن أغلبها في انتقاله إلى ضمير التكلم أنه يعود إلى ضمير عظمة، وأنه عائد على الخالق ﷻ كقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ ، ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾، ونحوها.

هكذا يتبين ما للمفسرين من عناية فائقة، واهتمام كبير في إبراز هذا النوع والوقوف على أسراره البلاغية، وأهدافه البيانية التي لا تنفد والتي لا يمكن لأحد حصرها .

---

(١) والقول الآخر أن الضمير عائد على النبي ﷺ، والجمهور على خلافه، انظر: روح المعاني (١٥/ ١٤) .

(٢) روح المعاني (١٥/ ١٣).بتصرف.

(٣) التحرير والتنوير (١٥/ ٢١).

الفصل الثالث
الالتفات بين الغيبة والخطاب

المبحث الأول
الالتفات من أسلوب الغيبة إلى أسلوب الخطاب

ومعناه: أن يكون سياق الكلام على ضمير الغيبة ثم يتحول إلى ضمير الخطاب، وهذا النوع أكثر القرآن الكريم من استعماله، واعتنى المفسرون بإبرازه مما يدل على أهميته.[١]

ومن أمثلته ما جاء في فاتحة الكتاب العزيز في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة: ٢ – ٥).

الحمد هو الثناء على الله عز وجل بصفات الكمال، وبأفعاله الدائرة بين الفضل والعدل، وفي ضمن هذا أمر للعباد أن يحمدوه فهو المستحق للحمد الكامل من جميع الوجوه، وهو سبحانه خالق الخلق ومربيهم بنعمه، وأوليائه بالإيمان والعمل الصالح، ووصفه بالرحمة ثناء عليه لاستحقاقه عز وجل الحمد كله.

ووصفه بالملك؛ لأنه المنفرد بالخلق والتدبير المتصرف بعباده أمراً ونهياً وثواباً وعقاباً.

وإنما أضاف الملك ليوم الدين، وهو الجزاء والحساب، لانقطاع جميع الأملاك في ذلك اليوم، فلما بين أن الحمد لله ﷻ – المتصف بالربوبية، والرحمة، والملك لليوم المذكور – بين بعده أنه المستحق للخضوع المطلق، وللاستعانة به

---

(١) بلغت آيات هذا النوع ما يقرب من (٤٤ آية)، انظر: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية. ص١٧١

وحده، وإنما ذكر الاستعانة بعد العبادة لاحتياج العبد في جميع عباداته للاستعانة به ﷻ(١) .

وقد جاء الالتفات في هذه السورة بأبدع صوره، حيث بدأت الآيات بالحمد والثناء على الله بأسلوب الغيبة، ثم انتقلت إلى أسلوب الخطاب في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ، ولو أُجري الكلام من غير التفات لكان التقدير: إياه نعبد، وإنما غير في الأسلوب وصرف الكلام عن الغيبة إلى الخطاب، لسر بلاغي هو« أنه لما ذكر أن الحمد لله – المتصف بالربوبية، والرحمة، والملك لليوم المذكور – أقبل الحامدُ مخبرًا بأثر ذكره الحمد المستقر له منه ومن غيره أنه وغيره يعبده ويخضع له، ولذلك أتى بالنون ﴿نَعْبُدُ﴾ التي تكون له ولغيره »(٢).

ويوضح الزمخشري نكتة الالتفات في هذه الآيات فيقول:« فإن قلت: لم عدل عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب؟ قلت:هذا يسمى الالتفات في علم البيان،لأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب،كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع، وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد،وقد تختص مواقعه بفوائد.

ومما اختص به هذا الموضع:أنه لما ذكر الحقيق بالحمد، وأجرى عليه تلك الصفات العظام، تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات، فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات، فقيل: إياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة،لا نعبد غيرك ولا نستعينه، ليكون الخطاب أدل على أن العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة إلا به »(٣).

ويبين البيضاوي السر في هذا الالتفات فيقول:« ثم إنه لما ذكر الحقيق بالحمد.

---

(١) انظر:جامع البيان (١/ ٤٦)، الكشاف (١/ ١٣)،تيسير الكريم الرحمن (١/ ٣٤).
(٢) البحر المحيط (١/ ٢٤).
(٣) الكشاف(١/ ١٤).

ووصف بصفات عظام تميز بها عن سائر الذوات وتعلق العلم بمعلوم معين خوطب بذلك، أي: يا من هذا شأنه نخصك بالعبادة والاستعانة، ليكون أدل على الاختصاص، وللترقي من البرهان إلى العيان والانتقال من الغيبة إلى الشهود، فكأن المعلوم صار عياناً والمعقول مشاهداً والغيبة حضوراً »(١).

كما يشير الشوكاني إلى شيء من الأسرار البلاغية في هذه السورة فيقول: «وعدل عن الغيبة إلى الخطاب لقصد الالتفات؛لأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى آخر كان أحسن تَطرية لنشاط السامع،وأكثر إيقاظاً له كما تقرر في علم المعاني.

والمجيء بالنون في الفعلين: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، لقصد الإخبار من الداعي عن نفسه،وعن جنسه من العباد،وقيل: إن المقام لما كان عظيماً لم يستقلّ به الواحد،استقصاراً لنفسه، واستصغاراً لها، فالمجيء بالنون لقصد التواضع، لا لتعظيم النفس.

وقدمت العبادة على الاستعانة؛ لكون الأولى وسيلة إلى الثانية،وتقديم الوسائل سبب لتحصيل المطالب،وإطلاق الاستعانة لقصد التعميم »(٢).

ومن أمثلة هذا النوع التي حفل بها القرآن الكريم ما جاء في قوله عز وجل : ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ (مريم: ٨٨، ٨٩).

وهذه الآية جاءت في بيان مقولات أهل الشرك، والرد عليها؛ ذلك أن المشركين زعموا أن الرحمن اتخذ ولدًا،وهو قولهم إن الملائكة بنات الله،وهذه المقولة كمقولة بعض اليهود والنصارى،تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا، فرد الله

---

(١) أنوار التنزيل (١/ ٩)، والبيضاوي:عبد الله بن عمر بن علي، من شيراز، ومن علماء الشافعية، قاض مفسر عالم بالفقه والأصول، توفي بتبريز سنة(٦٨٥)، انظر:البداية والنهاية لابن كثير (١٣/ ٣٢٧)،طبقات المفسرين للداودي(١/ ٢٤٨) .

(٢) فتح القدير (١/ ٢٢).والشوكاني: محمد بن علي بن عبد الله، من علماء اليمن، مفسر محدث أصولي فقيه، انظر: الأعلام (٧/ ١٩١)،معجم المفسرين (٢/ ٥٩٣).

ﷻ عليهم فريتهم، ومقالتهم الشنيعة مؤكداً ذلك بالقسم المقدر أي: والله لقد جئتم بهذه المقولة شيئاً عظيماً وأمراً منكراً .[١]

وقد جاء الالتفات في الآية من ضمير الغيبة في قوله: ﴿ وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدًا ﴾، إلى ضمير الخطاب في قوله: ﴿ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدًّا ﴾، وذلك لتوبيخهم أشد التوبيخ على زعمهم وافترائهم؛ لأن توبيخ الحاضر أبلغ في الإهانة، فلذلك نَزَّل أولئك القائلين المقالة الباطلة منزلة الحاضرين بين يديه فخاطبهم؛ للإنكار عليهم وتوبيخهم.

يقول الزمخشري: « وفي قوله: ﴿ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدًّا ﴾، وما فيه من المخاطبة بعد الغيبة، وهو الذي يسمى الالتفات في علم البلاغة، زيادة تسجيل عليهم بالجرأة على الله، والتعرّض لسخطه، وتنبيه على عظم ما قالوا » اهـ[٢].

وقال أبو حيان: « قوله: ﴿ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدًّا ﴾ ، يكون التفاتاً خرج من الغيبة إلى الخطاب زيادة تسجيل عليهم بالجُرأة على الله؛ والتعرض لسخطه، وتنبيه على عظيم ما قالوا » اهـ[٣].

وقال أبوالسعود: « ردٌ لمقالتهم الباطلة، وتهويلٌ لأمرها بطريق الالتفات المنبيء عن كمال السخط، وشدة الغضب المفصح عن غاية التشنيع، والتقبيح، وتسجيل عليهم بنهاية الوقاحة والجهل والجراءة » اهـ[٤].

ومن أمثلة هذا النوع أيضًا ما جاء في فواتح سورة عبس، قال الله تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ① أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ② وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ③ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ﴾ (عبس: ١ – ٤)، وهذه الآيات نزلت في الصحابي الجليل عبدالله بن أم

---

(١) انظر: إرشاد العقل السليم (٣/ ٦٠٦)، فتح القدير (٣/ ٣٥١)، تيسير الكريم الرحمن (١٣٨/٥).

(٢) الكشاف (٣/ ٤٥).

(٣) البحر المحيط (٦/ ٢١٨)،وأبو حيان: محمد بن يوسف الغرناطي،نحوي عصره ولغويه ومقرئه، مات بمصر سنة(٧٤٥هـ)،انظر: طبقات المفسرين للداودي (٢/ ٢٨٧)، الأعلام (٧/ ١٥٢).

(٤) إرشاد العقل السليم (٣/ ٦٠٦).

مكتومﷺ[١]، كان ضريراً، وقد جاء إلى النبي ﷺ يسأله أن يرشده، وهو منشغل بدعوة غيره من صناديد الكفر[٢].

ومعنى: ﴿ عَبَسَ ﴾ أي:قطَّب وجهه وقبضه[٣]،﴿ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾ أي:أعرض ببدنه لأجل مجيء الأعمى له، وإنما أظهر لفظ الأعمى، تنبيهًا للعناية بشأنه وأنه صاحب ضرارة، كما أن فيه إشعارًا بعذره في الإقدام على قطع كلام النبي ﷺ.

وقوله: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴾ أي: أيُّ شيء يجعلك عالمًا بحقيقة أمره وحاله حتى تعرض عنه ؟ فلعله بسؤاله تزكو نفسه، وتتطهر،أو يحصل له المزيد من الاعتبار والازدجار، ﴿ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴾ يتعظ بما تعلمه من المواعظ فينتفع بها. [٤].

والالتفات في هذه الآيات جاء أولاً بضمير الغيبة في قوله: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴾، ثم انتقل إلى الخطاب في قوله: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴾ ، والسِّرُّ في استعمال ضمير الغيبة أولاً؛ لئلا يفاجيء نبيَّه وصفيه ﷺ بالعتاب،عطفًا ورحمة به،وإكرامًا له عن المواجهة بهذا الأمر،ثم هو بعد ذلك أقبل على نبيه محمد ﷺ بعد الإعراض، إظهارًا للإيناس بعد الإيحاش[٥].

قال البقاعي: «ولما عرف بسياق الغيبة ما أريد من الإجلال، وكان طول الإعراض موجباً للانقباض،أقبل عليه ﷺ فقال: ﴿ وَمَا يُدْرِيكَ ﴾ أي:وأيُّ شيء

---

(١) ممن أسلم قديمًا، وهاجر بعد وقعة بدر، كان يؤذن لرسول الله ﷺ وكان يستخلفه على المدينة، مات سنة (٢٣هـ). انظر: الاستيعاب (٢/ ٣٦٢)، الإصابة (٢/ ٥١٦).

(٢) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٣٢).

(٣) انظر: المفردات للراغب الأصفهاني ص(٣٣٢).

(٤) انظر: جامع البيان (٣٠/ ٣٣)،فتح القدير (٥/ ٣٨٢)، تيسير الكريم الرحمن (٧/ ٥٦٧).

(٥) انظر: أنوار التنزيل (٢/ ٥٦٨)، روح المعاني (٣٠/ ٤٠).

يجعلك دارياً بحاله؟ وإن اجتهدت في ذلك فإن ذوات الصدور لا يعلمها إلا الله تعالى» اهـ[١].

وقال الشوكاني:« التفت ﷺإلى خطاب نبيه ﷺ،لأن المشافهة أدخل في العتاب:أي أيُّ شيء يجعلك دارياً بحاله حتى تعرض عنه » اهـ[٢].

وقال ابن عاشور:« فوجهه إليه على أسلوب الغيبة ليكون أولُ ما يقرع سمعه باعثاً على أن يترقب المعنيَّ من ضمير الغائب فلا يفاجئه العتاب، وهذا تلطف من الله ﷻ برسوله ﷺ، ليقع العتاب في نفسه مدرجاً، وذلك أهون وقعاً، فتوجيه العتاب إليه مسنداً إلى ضمير الغائب، ثم جيء بضمائر الغيبة،فذكر الأعمى يظهر المراد من القصة، واتضح المراد من ضمير الغيبة، ثم جيء بضمائر الخطاب على طريقة الالتفات » اهـ[٣].

ومما تقدم يتضح أن المفسرين كانت لهم عناية فائقة، واهتمام كبير في إبراز هذا النوع، والوقوف على أسراره البلاغية، وأهدافه البيانية التي لا تنفد ولا يمكن لأحد حصرها.

(١) نظم الدرر(٢١/ ٢٥١).

(٢) فتح القدير (٥/ ٣٨٢).

(٣) التحريروالتنوير (٣٠ / ١٠٥).

المبحث الثاني
الالتفات من أسلوب الخطاب إلى أسلوب الغيبة

ومعناه: أن يجري الكلام على أسلوب الخطاب، ثم ينتقل إلى أسلوب الغيبة، وقد أكثر القرآن الكريم من هذا النوع، وحفلت الآيات القرآنية بذكره.(١)

ومن أمثلة هذا النوع ما ورد في القرآن الكريم قول الله عز وجل: ﴿ **وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا** ﴾ (النساء: ٦٤).

وقد جاءت الآية لتقرير وجوب طاعة الرسول ﷺ،وهذه الطاعة مفروضة بأمر الله**عز وجل** وإذنه، كما أنها في إرشاد العصاة المذنبين إذا وقع منهم الخطأ والعصيان أن يأتوا إلى الرسول ﷺ فيستغفروا الله عنده، ويسألوه أن يستغفر لهم حتى يتوب الله عليهم، وذلك في حياته، وفيه إيماء إلى المسارعة إلى التوبة النصوح(٢)،

وقد جاء الالتفات في الآية من ضمير الخطاب في قوله: ﴿جَآءُوكَ﴾ أي: يا محمد،ثم إلى ضمير الغيبة في قوله: ﴿**وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ**﴾، وهذا الانتقال والعدول له غرض بلاغي، وسر من أسرار القرآن الكريم،وهو تفخيم شأن الرسول ﷺ بذكر أعظم صفاته، وهي الرسالة، حيث لم يقل واستغفرت لهم، وذلك أن شأن الرسول أن يستغفر لمن عظم ذنبه.

قال الرازي:« إنما قال: ﴿**وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ**﴾ ، لم يقل: واستغفرت لهم إجلالاً للرسول ﷺ وأنهم إذا جاءوه فقد جاءوا من خصه الله ﷻ برسالته وأكرمه بوحيه وجعله سفيراً بينه وبين خلقه، ومن كان كذلك فإن الله لا يرد

---

(١) بلغت آيات هذا النوع ما يقرب من (٤٠آية)،انظر:أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنيةص١٧١.

(٢) انظر:تفسير المنار(٥/ ٢٣٢)،تيسير الكريم الرحمن(٢/ ٦٢)، التفسير المنير (٥/ ١٣٨).

شفاعته، فكانت الفائدة في العدول عن لفظ الخطاب إلى لفظ المغايبة ما ذكرناه » اهـ[١].

وقال أبو حيان:« والتفت في قوله: ﴿وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾ ، ولم يجيء على ضمير الخطاب في: ﴿جَآءُوكَ﴾، تفخيماً لشأن الرسول ﷺ، وتعظيماً لاستغفاره، وتنبيهاً على أن شفاعة من وصفه الرسول من الله تعالى بمكان،وعلى أن هذا الوصف الشريف، وهو إرسال الله إياه موجب لطاعته » اهـ[٢].

وقال الآلوسي:« وفي التعبير بـ: ﴿وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾، دون استغفرت، تفخيم لشأن رسول الله ﷺ حيث عدل عن خطابه إلى ما هو من عظيم صفاته على طريق حَكَمَ الأميرُ بكذا مكان حكمت، وتعظيم لاستغفاره ﷺ حيث أسنده إلى لفظ منبيء عن علو مرتبته» اهـ[٣].

ومن أمثلة ذلك ما جاء في قول الله عز وجل : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ (يونس: ٢٢، ٢٣).

وهو مثل ضربه الله ﷻ للكفار المعاندين على مقابلتهم النعمة بالجحود، بأنه هو الذي يمكنهم من السير، والانتقال في البر مشاة وركباناً، وفي البحر على مراكبه، ثم إنها إذا جرت بهم بسبب الريح الطيبة فرحوا بها تحقق لهم من الراحة وقطع المسافة، فإذا تغيرت بهم الحال، فجاءتهم ريح عاصفة شديدة قوية

(١) التفسير الكبير (١٠/ ١٦٢)، والرازي: محمد بن عمر بن الحسين مفسر متكلم، ولد في الري ويقال له ابن خطيب الري،توفي ستة (٦٠٦هـ)،انظر:طبقات المفسرين للسيوطي ص(١٠٠)، طبقات المفسرين للداودي(٢/ ٢١٧).

(٢) البحر المحيط (٣/ ٢٨٣).

(٣) روح المعاني (٥/ ٧٠).

فاضطرب البحر، وتلاطمت الأمواج، وأيقنوا بهلاكهم فلم يجدوا ملجأ إلا الله ﷻ، دعوا ربهم، وتعهدوا بالشكر إذا تحقق رجاؤهم، فإذا تخلصوا من هذه المشقة نسوا ما كانوا يدعون إليه، وعادوا إلى فسادهم وبغيهم.

فالآية جاءت على وجه الامتنان، والتعريض بإخلالهم بواجب الشكر، وهي تصور حالة من أحوال الكفار، وهي أنهم إذا وقعوا في شدة لجأوا إلى ربهم، وتعهدوا بالشكر إذا فرَّج كربتهم، فإذا تخلصوا من هذه الشدة عادوا إلى فسادهم وبغيهم[١].

وقد ابتدأت الآية بأسلوب الخطاب الصالح لجميع السامعين، فلما تهيأت للانتقال إلى ذكر الضراء وقع الانتقال من الخطاب إلى الغيبة حتى يخلص إلى الإفضاء إلى ما يخص المشركين، فجاء الالتفات من أسلوب الخطاب في قوله: ﴿يُسَيِّرُكُمْ﴾، وقوله: ﴿كُنتُمْ﴾، إلى أسلوب الغيبة في قوله: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾، وقوله: ﴿وَفَرِحُواْ بِهَا﴾، وقوله: ﴿وَجَآءَهُمُ﴾، ومقتضى الظاهر: (وجرين بكم)، (وفرحتم)، و(جاءكم)، فعدل عن الخطاب إلى الغيبة، كأنه يذكر لهم أناسًا آخرين غير المخاطبين ليتعجبوا من حالهم، والواقع أنه يعجبهم من حال أنفسهم في البغي والفساد بعد النجاة وينكر عليهم، وقد نبه إلى هذه النكتة كثير من المفسرين.[٢]

قال الزمخشري: « فإن قلت: ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب إلى الغيبة؟ قلت:المبالغة، كأنه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الإنكار والتقبيح » اهـ[٣].

---

(١) انظر:جامع البيان (١١/ ٧١)، تيسير الكريم الرحمن (٣/ ٣٤١)، التفسير المنير (١١/ ١٤٢).

(٢) انظر: الكشاف(٢/ ٣٣٨)، البحر المحيط (٥/ ١٣٨)،نظم الدرر(٩/ ٩٨)،معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي(١/ ٣٧٩)، إرشاد العقل السليم(٢/ ٦٤٩) التحرير والتنوير(١١/ ١٣٥).

(٣) الكشاف (٢/ ٢٣٨).

وقال أبو السعود: « والالتفات إلى الغيبة للإيذان عن سوء حالهم من سوء الحال الموجب للإعراض عنهم، كأنه يذكر لغيرهم مساوئ أحوالهم، ليعجبهم منها، ويستدعي منه الإنكارَ، والتقبيح » اهـ[١].

وقال ابن عاشور:« ومن بديع الأسلوب في الآية أنها لما كانت بصدد ذكر النعمة، جاءت بضمائر الخطاب الصالحة لجميع السامعين،فلما تهيأت للانتقال إلى ذكر الضراء، وقع الانتقال من ضمائر الخطاب إلى ضمير الغيبة، لتلوين الأسلوب بما يخلصه إلى الإفضاء إلى ما يخص المشركين فقال: ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم﴾ ، على طريقة الالتفات، أي وجرين بكم. وهكذا أجريت الضمائر جامعة للفريقين إلى أن قال: ﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾فإن هذا ليس من شيم المؤمنين فتمحض ضمير الغيبة هذا للمشركين، فقد أخرج من الخبر مَن عدا الذين يبغون في الأرض بغير الحق، تعويلاً على القرينة؛ لأن الذين يبغون في الأرض بغير الحق لا يشمل المسلمين » اهـ[٢].

ومن أمثله هذا النوع التي حفل بها القرآن الكريم قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ ۖ كُلٌّ إِلَيْنَا رَٰجِعُونَ ﴾ (الأنبياء: ٩٢، ٩٣).

لما ذكر الله **عز وجل** طائفة من الأنبياء عليهم السلام خاطب الناسَ عمومًا، وبين أن هؤلاء الأنبياء المذكورين هم أمتكم وأئمتكم الذين بهم تأتمون،وبهديهم تقتدون، وأن ملتهم واحدة ودينهم واحد وهو التوحيد،توحيد الله بالعبادة وعدم الإشراك به، وأن ربهم وخالقهم واحد، وهو المستحق للعبادة وإنما أشير باسم الإشارة هذه تنبيهاً على كمال ظهور أمرها في الصحة والسَّداد،

---

(١) إرشاد العقل السليم (٢/ ٦٤٩).

(٢) التحرير والتنوير (١١/ ١٣٥).

فالواجب المحافظة على حدودها، ومراعاة حقوقها، وعدم الإخلال بشيء منها، وإنما جئ بالفاء في ﴿فَاعْبُدُونِ﴾ لترتيب المسبب على سببه [١].

« وكان اللائق الاجتماع على هذا الأمر وعدم التفرق فيه ولكن البغي والاعتداء أبيا إلا الافتراق والتقطع،ولهذا قال: ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ أي:تفرق الأحزاب المنتسبون لأتباع الأنبياء فرقاً وتشتتوا، كلٌ يدعي أن الحق معه،والباطل مع الفريق الآخر و﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ ، وقد عُلم أن المصيب منهم، من كان سالكا للدين القويم، والصراط المستقيم، مؤتماً بالأنبياء وسيظهر هذا، إذا انكشف الغطاء، وبرح الخفاء، وحشر الله الناس لفصل القضاء، فحينئذ يتبين الصادق من الكاذب، فيُجازى كلٌ بعمله» [٢].

وقد جاء الالتفات في الآية من ضمير الخطاب في قوله: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ ، أي:أيها الناس هذه أمتكم وهذا دينكم والله ربكم وخالقكم،ثم انتقل إلى ضمير الغيبة في قوله: ﴿وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ ولا شك أن لهذا الانتقال وهذا العدول غرضاً بلاغياً وهو أن ينعى عليهم ما أفسدوه إلى آخرين ويذكر قبيح فعلهم وسوء ما ارتكبوه من تفريق دين الله وفارقوا ما عليه الجماعة.

قال في الكشاف « والأصل : وتقطعتم، إلا أن الكلام صرف إلى الغيبة على طريقة الالتفات،كأنه ينعي عليهم ما أفسدوه إلى آخرين ويقبح عندهم فعلهم،ويقول لهم: ألا ترون إلى عظم ما ارتكب هؤلاء في دين الله »[٣].

وقال البقاعي:« ولما كان من المعلوم أنهم لم يفعلوا، أعرض إلى أسلوب الغيبة إيذاناً بالغضب،فكان التقدير في جواب من كأنه قال:ما فعلوا؟،لم يطيعوا

---

(١) معالم التنزيل (٢/ ٢٦٨)،تيسير الكريم الرحمن (٥/ ٢٦٠).
(٢) تيسير الكريم الرحمن (٥/ ٢٦٠).
(٣) الكشاف (٣/ ١٣٤).

أمري في الاجتماع على ما جمعتهم عليه من عبادتي التي هي سبب لجلب كل خير،ودفع كل ضير، ولا اقتدوا في ذلك بالكمّل من عبادي،فعطف عليه قوله: ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ﴾ أي: مخالفة للأمر بالاجتماع » اهـ[١].

وقال أبو السعود:« وقوله تعالى: ﴿وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ﴾التفات إلى الغيبة لينعى عليهم ما أفسدوه من التفرق في الدين وجعلِ أمره قطعاً موزَّعة، وينعي قبائحَ أفعالهم إلى الآخرين،كأنه قيل:ألا ترون إلى عظيم ما ارتكب هؤلاء في دين الله الذي أجمعت عليه كافة الأنبياء عليهم السلام » اهـ[٢].

ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٥١﴾ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ (المؤمنون: ٥١ – ٥٣).

وهو أمر من الله **عز وجل** لرسله عليهم السلام بأكل الطيبات،وشكر له بالعمل الصالح، ويخبرهم أن كل عمل عملوه فإن الله يعلمه. ثم أخبر الرسل بأن جماعتكم واحدة ودينكم واحد وربكم واحد فامتثلوا أمره واجتنبوا نهيه.

فعلى كل من انتسب إلى هذه الصفوة من الخلق أن يسيروا على طريقتهم ويسلكوا منهجهم فأبى الظالمون إلا الفرقة والمخالفة في دينهم وتحزيبه فرقاً،كلٌ فرح بما عنده من العلم يزعم أن الحق معه،لكن المحق من كان على طريقة الرسل عليهم السلام، وما عداهم فإنهم على الباطل، وإنما زاد هنا ﴿زُبُرٗا﴾لتأكيد تفرقهم وتشنيع مرتكبهم، وقوله: ﴿كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ﴾ زيادة في ذمهم وتعجيب من حالهم، فهم ليسوا بحال من يفرح. [٣]

---

(١) نظم الدرر(١٢/ ٤٧٧).

(٢) إرشاد العقل السليم (٣/ ٧٢٥).

(٣) انظر:ملاك التأويل للغرناطي(٢/ ٨٤٨)،تيسير الكريم الرحمن(٥/ ٣٥٦)، التحرير والتنوير (١٨/ ٧٠).

وقد جاء الالتفات في الآية من ضمير الخطاب في قولـه: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴾ – أي: هذه أمتكم وهذا دينكم والله ربكم وخالقكم فـاتقوه – إلى ضـمير الغيبـة في قولـه: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾، ولا ريب أن لهذا الانتقال وهذا التغيير سراً بلاغياً وهو أنه ينعي عليهم ما أفسدوه إلى آخرين ويذكر قبيح فعلهم وسوء عملهم.

وهكذا تبين مما تقدم أن القرآن الكريم قد أكثر من هذا النوع ، وأن المفسرين كانت لهم عناية فائقة واهتمام كبير في إبراز هذا النوع والوقوف على أسراره البلاغية وأهدافه البيانية التي لا تنفد ولا يمكن حصرها.

ومما يجدر التنبيه عليه في هذا المقام أن في المثال الأول الوارد في هذا النوع قد جاء الالتفات فيه إلى اسم ظاهر وهو قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾، أو غيره

من الأمثلة مما تقدم أو مما لم يذكر، ومن المعلوم أن الاسم الظاهر يعامل معاملة الغيبة. [١]

ومن خلال ما تقدم من صور الالتفات الأربع وأمثلته وأسراره البلاغية يتضح لنا أهمية الالتفات وقيمته البلاغية، ومدى عناية القرآن الكريم بهذا الفن واهتمام أهل

التفسير به، وأنهم كانت لهم العناية الفائقة والاهتمام الكبير في إبراز هذا النوع والوقوف على أسراره البلاغية وأهدافه البيانية التي لا تنفد ولا تنحصر، وهو سر من أسرار الإعجاز القرآني العظيم.

وختاماً أود أن أشير إلى أنني إنما اقتصرت في دراستي هذه على الطرق الأربع، نظراً لأن الالتفات بين الخطاب والتكلم بصورتيه لم يرد في القرآن الكريم على الصحيح، ولعل السبب في هذا لأن الالتفات في هاتين الصورتين مما

---

(١) انظر: مواهب الفتاح ضمن شروح التلخيص (١/ ٤٦٢).

يندر تحققه في لغة الكلام، وذلك للتباين التام بين موقفي الخطاب والتكلم لأنه لا يتصور أن يكون الشخص الواحد في آنٍ واحد مخاطباً متكلماً، ولأن الصحيح أن من شرط تحقق الالتفات بين الضمائر اتحادها، لعل هذا هو السر في عدم صحة ما ذكر من أمثلة لهاتين الصورتين وقلة ما ذكر في غيرهما، وهذا هو التحقيق في هذه المسألة والله المستعان.[1]

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن (٣/ ٣١٥)، الإتقان في علوم القرآن (٢/ ٢٣٥)، أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ص١٤٨ .

الخاتمـة

أحمد الله حمدًا كثيرًا أن يسر لي كتابة هذا البحث وإتمامه بعونه وتوفيقه، وأسأله جلت قدرته أن ينفع به.

هذا وإن أسلوب الالتفات في القرآن الكريم جاء في أعلى المنازل البيانية وأرفع المراتب البلاغية،فهو أسلوب يفيد الكلام ظرافة وحسن تطرية،كما ينقله من أسلوب إلى أسلوب، فيكون أدخل في القلوب، وأخف على السمع،وأجلب للنشاط، وفي دلالته الدقة والقوة وجمال السبك، فهو أسلوب يهز النفوس ويؤثر في القلوب، وقد تنوعت أساليبه في كتاب الله واختلفت طرقه، وذلك لاختلاف المخاطبين واختلاف طبقاتهم، ويمكن أن أوجز أبرز ما توصلت إليه في هذه الدراسة من نتائج في النقاط التالية:

- أن الالتفات بتراكيبه اللغوية واستعمالاته المختلفة لا يكاد يخرج عن معنى اللي والصرف عن الجهة المستقيمة وأن أكثر استعمالاته في الأشياء المحسوسة،ومنه انتقل هذا المفهوم إلى مفهوم الالتفات البلاغي وهو تحويل الضمير من سياق أصلي إلى سياق مغاير.
- أن الالتفات كان معروفاً في وقت مبكرٍ، وأن علماء اللغة والمعاني أولوه مزيد اهتمام لما له من أهمية في البلاغة العربية عموماً،والبلاغة القرآنية خصوصاً وإن لم يطلقوا عليه هذا اللفظ،لذا تعددت مصطلحاته، فقد يعبر عنه أحياناً بلفظ الصرف، أو التحويل، أو المجاز، أو مخالفة مقتضى الظاهر،أو شجاعة العربية.
- بناء على الاختلاف في تسميته اختلف علماء العربية والبلاغة في حده وضبطه على أقوال،كان أشهرُها قولين، **الأول** منهما: أن الالتفات تحويل الضمير من سياق أصلي كالغيبة مثلاً إلى سياق مغاير كالتكلم أو الخطاب. وهذا التعريف

هو تعريف جمهور أهل اللغة والبلاغة، **والثاني**: أن الالتفات هو العدول عن أسلوب إلى أسلوب آخر مخالف للأول. وهذا التعريف أوسع دائرة من التعريف الأول حيث إنه يشمل الالتفات في الضمائر وغيرها، وهو لطائفة من البلاغيين،وأن التعريف المختار هو التعريف الأول لأنه تعريف للمتقدمين من علماء البلاغة والمتأخرين.

وبناء عليه فقد قصرت دراستي هذه على التعريف المختار، وأن هذه الدراسة تناولت الالتفات بين الضمائر (التكلم والخطاب والغيبة)،

- أن الالتفات بين الضمائر يدور على ستة طرق كما هي القسمة من الناحية العقلية بالنظر إلى الضمائر الثلاثة التكلم والخطاب والغيبة،وقد حفلت به الآيات القرآنية، فهو أكثر الأساليب القرآنية تردداً، وأوسعها انتشاراً،بل إنك لتجد في الآية أكثر من التفات، مما يدل على أهميته، وأن هذا القرآن بلغ الغاية في البراعة، فهو معجز غاية الإعجاز.

وقد اقتصرت في دراستي هذه على أربع طرق،نظراً لأن الالتفات بين الخطاب والتكلم بصورتيه لم يرد في القرآن الكريم على الصحيح كما ذكره المحققون من أهل العلم، وأما الطرق التي تناولتها الدراسة فهي على النحو التالي:

أولاً: الالتفات بين التكلم والغيبة،وقد شمل الالتفات من ضمير التكلم إلى ضمير الغيبة والعكس.

ثانياً: الالتفات بين الغيبة والخطاب، وقد شمل الالتفات من ضمير الغيبة إلى ضمير الخطاب والعكس.

وقد أظهرت هذه الدراسة مدى أهمية أسلوب الالتفات في القرآن الكريم وموقف المفسرين في إبرازه وتجليته،وما حواه من أسرار بلاغية، ونكات بديعية، ولطائف خفية لا تنفد ولا تنحصر، فمن تدبر كتاب الله العظيم، وتأمل آياته وجد أنه قد حفل بذكره،وأن المفسرين كانت لهم العناية المتميزة والجهود

المشكورة،وما قمت به من تجلية لمواقف المفسرين لهذا الفن ومن إبراز لهذه الأسرار قليل من كثير مما في كتاب الله ومما قام به علماء التفسير، وما ذكرت إنما هو أمثلة ونماذج، وأسرار كتاب الله العظيم لا يمكن حصرها، وهو سرٌ من أسرار الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم، وختامًا أحمد الله جل جلاله على ما يسَّر وسهَّل، وأسأله أن يغفر زللي وتقصيري، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المصادر والمراجع

١ – الإتقان في علوم القرآن،عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ١٤٠٧هـ.

٢ – إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبوالسعود بن محمد العمادي، ت عبدالقادر أحمد عطا، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٢هـ.

٣ – أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية د/ حسن طبل.

٤ – الاستيعاب في أسماء الأصحاب، يوسف بن عبدالله بن عمر القرطبي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٥ – الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

٦ – الأعلام،خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٧، ١٩٨٦م.

٧ – أنوار التنزيل وأسرار التأويل، عبدالله بن عمر البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ.

٨ – الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب محمد بن القاضي سعد الدين القزويني، تعليق: محمد عبدالمنعم خفاجي، ط٥، ١٤٠٠هـ.

٩ – البحر المحيط، أبوحيان محمد بن يوسف الأندلسي، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٣هـ.

١٠ – البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٧هـ.

١١ – البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

١٢ – البرهان في علوم القرآن، محمد بن بهادر الزركشي، ت محمد أبوالفضل إبراهيم، نشر: رئاسة البحوث العلمية – السعودية، ط٣، ١٤٠٠هـ.

١٣- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، عبد الرحمن السيوطي، ت محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بيروت .
١٤- التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول، صديق حسن خان، لا توجد معلومات .
١٥- تاريخ بغداد، أحمد بن علي البغدادي، دار الكتاب العربي لبنان، بيروت.
١٦- التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، نشر: الدار التونسية، ١٩٨٤م.
١٧- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا،دار الفكر، بيروت لبنان.
١٨ - التفسير الكبير، محمد بن عمر الرازي،دار إحياء التراث، لبنان.
١٩- التفسير المنير د/ وهبة الزحيلي، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١١هـ .
٢٠- تهذيب اللغة، أبومنصور الأزهري، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
٢١- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ت محمد زهري النجار، طبع:إدارات البحوث العلمية، الرياض، ١٤٠٤هـ.
٢٢- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطبري، دار المعارف، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ.
٢٣- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أحمد بن حجر العسقلاني، دار الكتب الحديثة بمصر.
٢٤- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، الشهاب محمود بن عبدالله الآلوسي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٤، ١٤٠٥هـ.
٢٥- سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٢ ١٤٠٦هـ.
٢٦- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري،ت:سماحة الشيخ عبدالعزيز ابن باز، دار الفكر ١٤١٤هـ.

٢٧- صفوة التفاسير، محمد بن علي الصابوني، دار القلم، بيروت، لبنان، ط٥.
٢٨- طبقات المفسرين، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٢٩- طبقات المفسرين، محمد بن علي الداودي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٣٠- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة العلوي اليمني، تدقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط١، ١٤١٥هـ.
٣١- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، مكتبة المعارف، الرياض.
٣٢- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، سليمان العجيلي الشهير بالجمل، نشر: دار إحياء الكتب العلمية بمصر.
٣٣- كتاب الصناعتين، أبو هلال العسكري، ت مفيد قميحة، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨١م
٣٤- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل محمود بن عمر الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٠٧هـ.
٣٥- لباب التفسير في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد البغدادي، الشهير بالخازن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١٥هـ.
٣٦- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان، ط١ ١٤١٠هـ.
٣٧- المثل السائر في أدب الكتاب والشاعر، ضياء الدين محمد بن محمد ابن عبدالكريم بن الأثير،ت د/ أحمد الحوفي، د/ بدوي طبانة، نشر: دار الرفاعي بالرياض ط٢، ١٤٠٣هـ.

٣٨- مجاز القرآن، أبو عبيدة، معمر بن المثنى، تعليق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة.
٣٩- معاني القرآن، الأخفش، سعيد بن مسعدة البلخي، عالم الكتب، لبنان.
٤٠ - معاني القرآن، الفراء، يحيى بن زياد، ت: أحمد نجاتي، محمد النجار.
٤١- معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، ت خالد العك، مروان سوار، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ.
٤٢- معترك الأقران في إعجاز القرآن، عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، ت علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان.
٤٣- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان
٤٤- معجم المفسرين، عادل نويهض، م نويهض الثقافية، لبنان، ١٤٠٩هـ.
٤٥- معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الحسين بن المفضل الأصفهاني، ت نديم مرعشلي، دار الفكر، بيروت، لبنان.
٤٦- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، ت، عبد السلام هارون،دار الجيل، بيروت، لبنان، ط١، ١٤١١هـ.
٤٧- مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر السكاكي، ضبطه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٤٨- مواهب الفتاح، ابن يعقوب المغربي(ضمن شروح التلخيص)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .
٤٩- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط٢، ١٤١٣هـ.
٥٠- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين من كشف الظنون، إسماعيل باشا البغدادي، دار الفكر، ١٤٠٢هـ.
٥١- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.